قراءة في العُهدة العُمَرية

الدكتور عزت محمود فارس*

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أهمية العهدة بوصفها وثيقة متقدمة ومعبرة عن الفكر الإسلامي من مختلف الوجوه، وتبرز بوجه خاص النواحي اللغوية والأسلوبية والفنية موضوع الدراسة. وتشير إلى خصائصها ومكانتها بين المعاهدات والوثائق الأخرى، وبيان سماحة الإسلام وعدله واحترامه لمعتقدات الآخرين، وتسهيل وصولهم إلى مقدساتهم وممارسة شعائرهم التعبدية.

* قسم اللغة العربية وآدابها -كلية الآداب-جامعة الزيتونة الأردنية الخاصة

دراسة وتحليل:

قبل الحديث عن هذه العهدة، لا بد أن نقف على مدلولها وما تعنيه في اللغة، لتتبين للقارئ الأهمية التي تضمنتها، والقيمة التي أُسبغت عليها. فقد جاء في لسان العرب[1] مادة (عهد): قال الله تعالى[2]: (وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً).

العهد: كل ما عوهدَ الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق، فهو عهد. وفي حديث الدعاء[3]: "وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت": أي أنا مقيم على ما عاهدتك عليه من الإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك لا أزول عنه.

والعهد : الوصية، كقول سعد حين خاصم عبد بن زمعة في ابن أمَتِه فقال :" ابن أخي عهد إليَّ فيه": أي أوصى؛ ومنه الحديث:" تمسكوا بعهد ابن أم عبد" أي ما يوصيكم به ويأمركم. ومنه قوله عز وجل[4]:(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ)، يعني الوصية والأمر.

والعهد: الذي يُكتب للولاة وهو مشتق منه، والجمع عهود .

والعهد: المَوْثِقُ واليَمين يَحلِفُ بها الرجل. تقول:"عليَّ عهد الله وميثاقه" .

العهد: هو الميثاق واليمين التي تستوثق بها ممَّن يعاهدك. وإنما سمي اليهود والنصارى أهل العهد: للذمة التي أُعطوها والعُهدة المشتَرَطة عليهم ولهم. والعهد و العهدة واحد.

والعُهَدَة: كتاب الحِلْف والشراء، واستعهد من صاحبه: اشترط عليه وكتب عليه عهدة، وهو من باب العهد والعهدة لأن الشَّرطَ عَهْدٌ في الحقيقة.

---

[1] لسان العرب مادة "عهد".

[2] سورة الإسراء /34.

[3] الأذكار النووية / 63.

[4] سورة يس/60.

والعهد: الحفاظ ورعاية الحرمة. والعهد : الأمان. وفي التنزيل[5]:(**لاَ يَنَــالُ عَهْــدِي الظَّالِمِينَ**).ونرى أن هذه اللفظة جمعت معاني: الموثق والوصية، والأمــر واليمــين والاشتراط والأمان.

وقد ارتبط المعنى المعجمي للعهد والعهدة بالمعنى الدلالي فــي ســياق الحــدث المهم، وهو فتح بيت المقدس، وبيان أهمية العهدة وأثرها والتزام عمر بــن الخطــاب ومن خلفه من المسلمين بنهجها، لأن الالتزام بالعهود والمواثيق سمة الأمة الإســلامية بناء على توجيهات ربانية قرآنية.

ونقلت لنا المصادر[6] أنه بينما كان عمر بن الخطاب معسكرًا في الجابية وصــل رُسُل صفرونيوس أسقف بيت المقدس كي يُتموا الصلح معه، فصالحهم على صــلح دمشق، بل على صلح أكثر منه سخاءً[7]، وزودهم بكتابٍ تروي نــصَّه كثيــرٌ مــن المصادر العربية، وتختلف في نصه. وقد احتفى أسقف إيلياء[8] بحضور عمــر بــن الخطاب إلى المدينة، لأن صفته موجودة في كتبهم[9]. وقد اخترنا النص مــن كتــاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، بسنده إلى سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة عن خالد وعبادة. إلا أن كتب الحديث لم تورده. ومما يدعو إلى الاطمئنان أن أحداً من فقهــاء

---

[5] سورة البقرة /124.

[6] تاريخ الأمم والملوك /م2 / ج4 / 161، وانظر القول المبين في الأشراط الصغرى ليوم الدين /18.

[7] تاريخ الأمم والملوك /م2/ج4/ 158- 161، الكامل في التاريخ/م2/500.

[8] بيت المقدس والمسجد الأقصى/33-35، جاء هذا الاسم سنة 135م . وضعه الإمبراطور الروماني (هدريان). وإيلياء اسم جد عائلة الإمبراطور، أو اسم عائلته. وبقي هذا الاسم شائعاً حتــى الفــتح الإسلامي، وذكر ابن حجر في الفتح (94/3):"ولبيت المقدس عدة أسماء تزيد على العــشرين،وذكر منها إيلياء".

[9] معجم البلدان/ج1/170-171، تاريخ الأمم والملوك م2/ج4/32، فــضائل بيــت المقــدس/262-263،الفاروق عمر / ج 1 / 255-256، القول المبين في الأشراط الصغرى ليوم الدين / 18 .

المسلمين لم ينقضه، إذ إنه يوافق الأحكام الإسلامية. ونقل عبد الله التل (قائد معركة القدس 1948 م وحاكمها العسكري) في كتابه (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية)[10]: "إن الكتاب العمري (العهدة) لا يزال موجوداً ومحفوظاً في بطريركية الروم الأرثوذكس (كنيسة القيامة) في القدس الشريف". وكذلك قال شفيق ارشيدات في كتابه (العدوان الصهيوني والقانون الدولي)[11] ولم يذكرا إن كان النص الموجود هو الذي كتب أيام عمر بن الخطاب. أما نص العهد فهو كما في الطبري[12]: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم الله أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانها وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضارُ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت(ص)[13] . فمن خرج منهم فإنه آمن

---

[10] المصدر السابق، ص 30.

[11] المصدر السابق، ص 39.

[12] تاريخ الأمم والملوك/م2/ج4/158-159، فضائل بيت المقدس، في مخطوطات عربية قديمة /262-264، عن مخطوطة فضائل بيت المقدس والخليل للعلامة أبي المعالي مشرف بن المرجي بن إبراهيم المقدسي، تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد/335، سيرة عمر بن الخطاب/44.

[13] لسان العرب، مادة لَصَتَ بفتح اللام:اللص في لغة طيء، وجمعها لصوت، وهم الذين يقولون للطس طست، وأنشد أبو عبيد: فتركن نهداً عيلاً أبناؤهم وبني كنانة كاللصوت المرد

وقال الزبير بن عبد المطلب:

ولكنا خُلِقنا، إذ خُلِقْنا لنا الحَبِرات والمسك الفَتيت

وصبر في المواطن كل يوم إذا خفت من الفزع البيوت

فأفسد بطن مكة، بعد أُنس قراضبة كأنهم اللصوت

على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

من أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويُخَلِي بيَعَهم وصُلُبَهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعِهم وصُلُبِهم إلى أن يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصَدَ حصادُهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطَوا الذي عليهم من الجزية".

وختم عمر الكتاب، ثم أشهد عليه: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبى سفيان، وكُتِبَ وحُضِر سنة خمس عشرة .

وإذ تثبت صحة الشهادة في المعاملات الإسلامية بشاهدين اثنين، رأينا أن من شهد على تلكم العهدة هم أربعة رهط من جلة الصحابة سواءً أكانوا عسكريين كخالد بن الوليد أم سياسيين دهاة كعمرو بن العاص، أم من كتبة رسول الله – **r** – كمعاوية بن أبي سفيان، أم من المبشرين بالجنة كعبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنهم- أدركنا أية أهمية حظيت بها تلك العهدة، وماذاك إلا لأهمية المكان الذي احتضن في جنباته البقعة المباركة حيث المسجد الأقصى.

ويورد اليعقوبي[14] نصاً آخر :" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم، لا تسكن ولا تخرب إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً". وأشهد شهوداً ولم يذكر الشهود. وقد ذكر اليعقوبي اسم عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- دون لقبه (أمير المؤمنين).

---

[14] بيت المقدس والمسجد الأقصى/88.

وذكر ابن الجوزي في كتابه (فضائل بلاد الشام) قصة العهد، ويظهر أنه لخصه فقال[15]:"وقد اغتبط الأسقف صفرونيوس وأهل المدينة جميعاً بهذا الكتاب"[16]. وكيف لا يغتبطون وقد أقرهم المسلمون وأمّنوهم على أنفسهم وأموالهم وعقائدهم لا يضار أحد منهم بسبب دينه، ولا يُكره على شيء من أمره ؟ .

كتاب أهل القدس

فكتب أهل القدس كتاباً للمسلمين يتعهدون فيه بعدد من الأمور التي اشترطوها على أنفسهم، ونص الكتاب ما يأتي[17]: "هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، من نصارى مدينة إيلياء: إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا، وشرطنا لكم ألا نحدث في مدينتنا ولا في ما حولها ديراً ولا كنيسةً ولا قلايةً (مسكن الأسقف) ولا صومعة راهب.ولا نجس منها ما كان في خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن توسع أبوابها للمارة وابن السبيل.وأن ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم، ولا نواري في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا نظهر مشركاً ولا ندعو إليه أحداً، ولا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أراده، وأن نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا، ولا نتشبه في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم، ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور، وأن نجز مقادم رؤوسنا، وأن نلزم زينا حيثما كنا، وأن نشد الزنانير على أوساطنا، ولا نظهر

---

(15) نفسه/88-89.

(16) الفاروق عمر/ج1/256-257.

(17) تاريخ الأمم والملوك/م2/ج4/158-159.

الصليب على كنائسنا، ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا نطلع عليهم في منازلهم".

وقد تجلَّت سماحة الإسلام بكل معانيها، فلا اعتداء منهم على أحد، ولا على كنائس أو بيع أو صلبان، فلا تهدم الكنائس ولا ينتقص منها ولا من حيزها " مساحتها "، ولا يكرهون على دينهم امتثالاً لقوله سبحانه[18]: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ).

وقد أبانت العهدة أن إيلياء (القدس) كان يسكنها العديد من الطوائف والأجناس البشرية، فكان من سكانها أناس من فلسطين أهلها الأصليون، وكان فيها من الروم - بوصفهم الأمة الحاكمة آنذاك-، ويسكن فيها كذلك الناس الذين أتوا إليها من أصقاع الدنيا كافةً وارتضوا العيش فيها. وهنا خَيَّرتهم العهدة أن من أراد منهم أن يسير مع الروم "الدولة المهزومة" من أهل إيلياء متبعاً ديانتهم فله ذلك، وله أن يأخذ ماله وكل أشيائه ومتعلقاته دون أن تمتد إليه يد المسلمين وهم آمنون حتى يصلوا إلى مأمنهم . أما من شاء منهم البقاء في المدينة فله ذلك على أن يؤدي الجزية. وأما من كان وافداً إلى المدينة، فالذين آمنوا بدين المسيح قبل أن يؤمن الروم هم من أهل فلسطين، الذين تمتد جذورهم إلى ما قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة. أما الروم الموجودون في المدينة ساعة الفتح، فهم الحامية الرومية. ولم يكن الروم يأتونها للسكن، وإنما للزيارة والصلاة ثم يعودون إلى أوطانهم. فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، أو رجع إلى حيث أهله. وكل ذلك دون إكراهٍ أو تدخُّل. وقد نصت العهدة كذلك على أن أخْذَ الجزية كان في منتهى اليسر والسماحة

---

[18] البقرة/256.

فلا تدفع الجزية فوراً وإنما عندما يحصد حَصَادُهم. وهذه كلمة عامة يُفهم منها أن الدفع يكون على التيسير عندما يتمكن الناس من ذلك حسب مواسمهم سواء أكانوا زراعاً أم تجاراً أم غير ذلك.

أثر المعاهدة

وقد أثَّرت المعاهدة في المدائن الأخرى، فعندما ترامت أنباؤها إلى أهل الرملة[19] تطاولت أعناقهم لكي يعقدوا مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب معاهدة مثلها.

وكذا كان شأن غيرهم من أهل فلسطين. وقد ظفر أهل اللد[20] من عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بكتاب جرى عليهم وعلى البلاد التي دخلت معهم من بعد فيه، فأعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم، وسائر ملتهم وألا يكرهوا على دينهم ولا يضار أحد منهم على أن يعطوا من الجزية ما يعطي أهل مدائن الشام. وكان هذا العهد إماماً لكل العهود التي عقدت مع نصارى الشام وغيرهم[21].

فهل عرفت البشرية مثل هذا التسامح؟ وأين منها معاملة الغزاة المحتلين في أيامنا هذه من حقوق المواطنين الذين يكونون تحت الاحتلال!، على الرغم من المعاهدات الدولية وما يدَّعونه من حقوق الإنسان !.

وهكذا نرى أن هذه العهدة كانت فاتحة عهد جديد لهذا النوع من الأمان والمعاهدات للبلاد المفتوحة، وأن عمر بن الخطاب قد ترسم بهذه العهدة خطى

---

[19] الفاروق عمر/ج1/256-257.

[20] الفاروق عمر/ج1/257.

[21] تاريخ الأدب العربي ، (العصر الإسلامي) / 24.

الرسول-S - لنصارى نجران[22]. والدليل على ذلك أننا ما نزال نرى النصارى في العديد من مدائن بلاد الشام يتمتعون بكل ما منحتهم تلك العهدة من ميزات وما تبعها من عهود، ومواثيق. كما نلمس أثرها الطيب في نفوس النصارى واحترامهم لها ولمن منحهم إياها، وما زالوا حتى الآن يفخرون ويعتزون بعمر بن الخطاب الذي حافظ على دينهم، لا كما كان يعاملهم إخوانهم النصارى من الروم من ظلم لهم واضطهاد ومحاولات لتغيير مذهبهم .

ما يؤخذ من العهدة ولعلنا نأخذ من العهدة العمرية بعض الجوانب والأبعاد المهمة منها:

1- أن العهدة العمرية بدأت بذكر اسم الله سبحانه وتعالى دليلاً على الإيمان به، ولأن كل ما لم يذكر اسم الله عليه فهو أبتر، أضف إلى ذلك أن اسم الله يعني الأمان والاطمئنان وذلك على عادة الرسائل في صدر الإسلام .

2- إظهار التواضع والتطامن لله سبحانه حيث قالت المعاهدة : هذا ما أعطى "عبدالله" عمر بن الخطاب أي أنّه يقر بالعبودية لله ويشهد له بالوحدانية .

3- إن لفظة "أعطى" تومئ إلى أن هذه الميزات التي قدمتها المعاهدة هي هبة ومنحة من أمير المؤمنين لأهل إيلياء، وليست حقاً من حقوقهم .

4- بيان أن عبدالله هو أمير المؤمنين، وهذا موقف سياسي، بمعنى أن من أعطى هذه العهدة هو خليفة المسلمين أمير المؤمنين، فاصطبغت المعاهدة بتلك الصبغة الرسمية، وتعني من وجه آخر أنها أصبحت نافذة المفعول، وأن على الجميع أن يطبقوا بنودها بدقة وأمانة.

---

[22] مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة / 13، تاريخ الأدب العربي، (العصر الإسلامي) / 133.

5- أن إيلياء "القدس " التي شرفها الله -سبحانه وتعالى- بذكر مسجدها في قرآنه ، وذكر مسجدها ينسحب عليها ، وبإقامة رسول الله - r -الصلاة في مسجدها الأقصى إماماً لكل الأنبياء ، أصبحت مملوكة لدولة الإسلام وأن الإسلام أصبح وارثاً كذلك لكل الشرائع السماوية السابقة[23].

6- أن الله –سبحانه- يسَّر تنفيذ بُشرى فتح بيت المقدس حيث بشر الله نبيه بذلك في قوله تعالى[24]: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ). فكانت الآية تحمل البشرى لرسول الله –r -أن الأقصى وما يجاوره سيكون ضمن الدولة الإسلامية. وعلى ضوء ذلك، بشر رسول الله- r - بفتحها، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عوف بن مالك الأشجعي قال[25]:" أتيت النبي- r - فسلمت عليه، فقال: عوف؟ فقلت: نعم. فقال: أُعدد يا عوف ستاً بين يدي الساعة: أولاهن موتي، قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله - r -يسكتني، ثم قال: قل إحدى، فقلت: إحدى. والثانية: فتح بيت المقدس، قل: ثنتان، فقلت: ثنتان.والثالثة: مَوَتانٌ يكون في أمتي، يأخذهم مثل "قعاص الغنم".قل: ثلاث.فقلت: ثلاث. والرابعة: فتنة تكون في أُمتي، وعَظِّمها. قل: أربع. فقلت: أربعٌ. والخامسة: يفيض فيكم المال، حتى إن الرجل ليعطى المئة دينار "فيتسخطها". قل: خمس. فقلت: خمس. والسادسة: هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيسيرون إليكم على ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً، وفسطاط المسلمين يومئذٍ في أرض يقال لها

---

[23] بيت المقدس والمسجد الأقصى/71.

[24] الإسراء/ 1.

[25] مسند الإمام أحمد/ج 25/6، بيت المقدس والمسجد الأقصى/83، فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة /307،صحيح البخاري/ك 58/باب 15.المفردات : قعاص : داء يأخذ الغنم لا يُلبثها أن تموت/لسان العرب مادة قعص. يتسخطها: يراها قليلة.

الغوطة، في مدينة يقال لها دمشق". وروى الطبراني عن شداد بن أوس-رضي الله عنه- أنه كان عند رسول الله -r- وهو يجود بنفسه، فقال[26]: "ما لك يا شداد؟ قال: ضاقت بي الدنيا. فقال: ليس عليك. إن الشام ستفتح، وبيت المقدس سيفتح، وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة فيهم إن شاء الله تعالى". وقد حاصر عمرو بن العاص مدينة القدس، نحو أربعة أشهر، وعندما جاء أبو عبيدة عامر بن الجراح إلى القدس وأدرك أهلها أن لا مفر من التسليم، طلبوا من أبي عبيدة أن يصالحهم على مثل صلح مدن الشام، وأن يكون المتولي لعهد الصلح عمر بن الخطاب[27]. فكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب، فاستشار عمر الناس في ذلك، فأشار عثمان بأن لا يجيبهم إلى طلبهم، وأشار علي بالخروج، فوافق عمر على ما أشار به علي. وخرج بجمع من الصحابة في مقدمتهم العباس بن عبد المطلب، ومع خروجه من المدينة، كتب إلى أمراء جيوش الشام أن يوافوه بالجابية (موقع في حوران)، ليوم حدده لهم، فلما وصل إلى الجابية تلقاه الصحابة هناك. ويقال: إن البريد الذي ذهب إلى المدينة ليخبر عمر بمطلب أهل القدس، كان فيه نفر من أهل القدس[28]، فكان لعمر بن الخطاب شرف فتح بيت المقدس.

7- إن مسير ابن الخطاب إليها لتسلم مفاتيحها من الأسقف صفرونيوس كان لما تتمتع به المدينة من قدسية ومكانة عظيمة.

8- الإشارة إلى أن الأمان الذي منح لهم قد أعطاهم الله إياه ، حيث نصت العهدة:" أعطاهم الله أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانها وسقيمها وبريئها وسائر ملتها". فكان الأمان شاملاً عاماً لكل شيء في المدينة، وفي هذا زيادة توكيد وتوثيق لهذه العهدة، فالأحرى بها ألا تُخالف أو تُنقض.

---

(26) الإصابة في تمييز الصحابة (ترجمة شداد بن أوس، ت 58هـ)/ج2/139-140، فضائل بيت المقدس/362.

(27) بيت المقدس والمسجد الأقصى/83.

(28) نفسه/84.

9- أشارت العهدة إلى الحقوق والواجبات مع تـوَخِي العـدل والإنـصاف بهـدف الاستقرار وإشاعة الأمن والأمان في المدينة، دون تضييع لحقوق كلا الطـرفين المتعاقدين. ففي حين يقوم المسلمون بمنح هذا الأمان باسم الله وفق البنود الواردة فيه، وأخصها ألا يساكنهم في المدينة أحد من اليهود. وهذه العبارة تحتمل عـدة معانٍ: الأول أن الخليفة ضمن لهم هذا الحق. والثاني تحتمل أنه شرط علـيهم ألا يسكن معهم أحد من اليهود. والثالث أن النصارى طلبوا من الخليفة ذلك فأقرهم، ونص عليه في العهدة، لأن اليهود كانوا قد مُنعوا من سكنى القـدس منـذ سـنة 135م[29] عندما أثاروا الشغب على النصارى، فتمكن الإمبراطـور الرومـاني هدريان من التنكيل بالمشاغبين، ودمر أورشليم، وحرث موقعها الذي كانت قائمة عليه، وقتل عدداً كبيراً من اليهود، وسبى عدداً آخر، ثم منعهم من دخول القدس والسكن فيها، أو الدنو منها، وسمح للمسيحيين أن يقيموا بها على ألا يكونوا مـن أصل يهودي، وسمى المدينة" إلياكابيتولينا" مشتقة من اسم أسرة هدريان المدعوة "إيليا".

وجاء الفتح واليهود محرومون من دخول القدس، لأنهم اغتنموا فرصة الغزو الفارسي الأخير لبلاد الشام، فهاجموا النصارى وأثخنوا فيهم، وكـانوا يـشترون الأسرى النصارى من الفرس ليذبحوهم، فازداد العداء بينهم وبـين النـصارى. وعندما استعاد هرقل القدس سنة 627م طردهم منها وحـرم علـيهم دخولهـا، بمشورة رجال الدين النصارى. وعلى هذا، فيكون أهل القدس قد طلبوا أن يسجل لهم هذا الحق في العهد، فاستجاب عمر بن الخطاب لمطلبهم، ويحتمل أن يكـون عمر بن الخطاب شرط ذلك لأنه أراد أن يطهر القدس من خبثهم كما طهرت مكة

[29] نفسه/64، بقي اسم إيلياء متداولاً بين الجماهير، فهو الاسم الذي عرفه العرب المـسلمون عنـد الفتح.

والمدينة[30]. وفي مقابل ذلك عليهم أن يعطوا الجزية وأن يُخرجوا من المدينة الروم واللصوص. وهذا يدل على أن سكان القدس لم يكونوا من الروم، وإنما كانوا من أهل فلسطين الذين أحبوا السكن بجوار المسجد الأقصى وآثار المسيح عليه السلام. لكن قوله " ومن أقام منهم" يفهم منه التفريق بين نوعين من الروم : النوع الأول جنود الروم، أو الحامية الرومانية، والنوع الثاني: الروم الذين جاؤوا للعبادة في القدس زواراً أو مجاورين .ولعلنا ندرك أن اشتراط النصارى على أمير المؤمنين ألا يساكنهم في مدينتهم أحد من اليهود كان لما يعلمون من إفسادهم في الأرض وإشعالهم نار الحروب، ونشر الفرقة والفتن، ويعني كذلك أن أحداً من اليهود لم يكن يسكن فيها آنذاك، وأن شرطهم هذا ينسحب على كل أرض فلسطين، وذلك أنها أرض المعراج، وكونها حاضرة فلسطين، وفلسطين درة الشام، وأن القدس جوهرة الشام بل جوهرة العالم الإسلامي بعامة. ومع علمنا أن القدس عربية منذ إنشائها، حيث بناها الملك العربي اليمني سالم وأصبحت تسمى "أورسالم"[31]، أي مدينة سالم، علمنا أي باطل ينطوي على ادعاء اليهود اليوم لملكية هذه المدينة.

10- أبرزت العهدة أن الروم واللصوص واليهود من الخطورة على المدينة بمكان، فهم متساوون جميعاً من هذا الوجه .

11- إن على المسلمين –حاكمهم ومحكومهم- أن يرعَوا هذا العهد ويطبقوا أركانه على الوجه الأكمل، وعلى ذلك ذمة الله ورسوله والخلفاء والمؤمنين جميعاً .

---

(30) نفسه/86.

(31) نفسه/45، وانظر فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة بعنوان: في أسمائه /449-452 ، تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد/335، سيرة عمر ابن الخطاب/ 44.

12- يختم الكتاب "العهدة" ويمهر بتوقيع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهذا دليل على أهمية العهدة المرتبطة بقدسية المكان.

13- ودليل على أهمية هذا الحدث أن يشهد على العهدة جلة الصحابة الذين وردت أسماؤهم بها.

14- تأريخ هذه العهدة بالتاريخ الهجري إيماء إلى أن التاريخ الهجري قد اعتمد في الأمور الرسمية.

15- إن هذه العهدة أصبحت إماماً لكل العهود التي عقدت مع نصارى الشام وغيرهم.

16- بينت العهدة أن العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها ممن ترتبط بهم في معاهدات لا بد أن تكون مكتوبة وموثقة.

17- كتبت هذه العهدة باللغة العربية، مما يشير إلى أنها أصبحت اللغة الرسمية للأمة، وبها تُكتب العهود والمواثيق.

18- امتازت هذه العهدة بلغة سليمة واضحة، ودقة في العبارات والمعاني، فهي خاليةٌ من أي إبهام أو غموض، بحيث لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل أو اختلاف على المقصود.

19- وضوح المعاني والغاية والهدف مع الإيجاز، والبعد عن الإطناب، وإن كان بها شيء من التفصيل، فزيادةً في التأكيد وتوضيحاً للحقوق والواجبات.

20- اعتمدت الموازنة والمقابلة بين الجمل والعبارات من حيث الطول والقصر، وامتازت بقصرها ، وقصر الفقرات والجمل فيها، التي تأخذ بعضها بحجز بعض، دون أن يكون بها أي غموض أو غريب في الألفاظ. وكانت بعيدة عن الحشو والإفراط.كما رتبت موادها وفصلت بنودها أوضح تفصيل، فتبدأ

بالأمان على النفوس، ومن ثم الأموال والكنائس، وحرية المعتقد الديني، وأسلوب الجمع واضح في عبارات العهدة بحيث تُطَبَّقُ على الجميع دون استثناء.

21- تميزت الألفاظ بالقوة والوضوح لأن الفاروق -رضي الله عنه- كان حريصاً على الإفهام وتوضيح المطلوب، مع إكساب العهدة جواً من القوة لإتمام العمل بها لأهميتها ولزوم الأمر في تأديتها.فأسلوب الأمر فيها واضح، واستخدام الفعل المضارع يضفي عليها الاستمرار والديمومة كقوله: لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا يكرهون على دينهم، ولا يسكن بإيلياء معهم ..، لا يؤخذ منهم..، وعليهم أن يعطوا الجزية، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص.

22- ومما زاد في قوة أسلوبه ووضوحه، خلو النص من المحسنات البديعية وعدم التكلف في إيرادها.

23- تجسيد وحدة الموضوع فيها، فموضوعها واحد ركَّز على العهدة وما قدمت من أمان، وأبرزت من ميزات، وحددت من شروط، مما يدعو إلى القول: إنَّ الوحدة الموضوعية قد تجلت فيها.

24- إن العهدة قد أوضحت بجلاء مقدرة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- اللغوية والبلاغية، ودقته في اجتلاء المعاني، وتحديد المراد الذي يتطلع إلى تحقيقه دون إسهاب مُملٍّ أو إيجاز مُخلٍّ.

25- إن إبراز شروط وبنود العهدة لا نظن أنه يحتاج إلى خيال واسع ومجنح، أو إلى عاطفة قوية ظاهرة، غير أن بالإمكان القول: إن عاطفة الحرص على مصلحة المسلمين ورعاية حقوقهم، والحرص على حقوق الطرف الآخر، وعاطفة الخوف من الله يوم القيامة حين يسأله سبحانه، هي التي دفعته إلى

كتابة هذه الرسالة. وقد صاغ ماأعطاه للنصارى من امتيازات متنوعة بأسلوب رصين، فألفاظها القوية المعبرة، وصيغ الأمر فيها، تؤيد ما ذهبنا إليه من حرص الفاروق -رضي الله عنه- وتأكيده مصلحة استقرار المجتمع بجناحيه، الذي أصبح راعياً له، وهو ما أملى عليه ذلك.

26- تعدُّ هذه الرسالة (العهدة) وثيقة متقدمة في العدل والمساواة بين طرفي التعاقد، وقمة في الموضوعية والتجرد، والبعد عن الذاتية والنوازع الشخصية، أو الارتهان للشعور بالقوة وإملاء الشروط على الطرف الأضعف، إذ هدفت إلى تطبيق نظرة الإسلام وتعاليمه بشأن الفتح وبيان سماحة الإسلام أملاً بنشره، لما يرى الناس من جليل مبادئه وحسن تعامله مع غيره من أهل الشرائع الأخرى.

27- أبرزت العهدة عدداً من المسائل التي تهم النصارى، زيادة في تأكيد اطمئنانهم على شعائرهم الدينية وممتلكاتهم، وإفهامهم حقوقهم، وكل ذلك يدل على مدى اهتمام الفاروق بإحقاق الحق والأهمية التي يوليها له، وإبراز صورة العدل التي عرف بها الإسلام الذي تبناه عمر بن الخطاب في كل شأن من شؤون الأمة.

كيف لا، وفيها القبلة الأولى للمسلمين وثالث المسجدين الشريفين كما أوضح الحديث النبوي[32]:"لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى". وقد حاول اليهود بزعامة ثيودور هرتزل مع الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني أن يسكنوا فلسطين ويقيموا ولو مخيماً لهم في "سمخ" محاولة منهم للتسلل إلى فلسطين وعرضوا عليه مقابل ذلك أموالاً طائلة أربت على الخمسة ملايين ليرة ذهبية، وأن يشاركوا معه في القتال، ولكنه رفض رفضاً قاطعاً وهددهم برميهم لسمك البسفور، وقال لهم[33]:" إن اليهود يقيمون في كل أنحاء الممالك العثمانية، فإن

---

[32] المسند للإمام أحمد بن حنبل ج4/ 17 ، 65 .

[33] أسرار الانقلاب العثماني/47-48 .

لم يكن لهم مكان للإقامة فبإمكانهم أن يسكنوا في العراق أو سورية أو حتى في بلاد الأناضول، أما فلسطين فليس هناك مجال لطلبها. وكان مما قال لهم: "ماذا أقول غدا وأنا بين يدي الله عز وجل؟ أأقول أني خفرت عهد الله وذمة رسوله وخلفاء المسلمين والمؤمنين؟! لا والله لن يكون ذلك أبداً".

هذه هي العهدة العمرية بكل ما فيها من سماحة إسلامية، وحفظ للحقوق، ومراعاة واحترام لشرائع الآخرين، ومحافظة على العهود والمواثيق، وعدم الإكراه في الدين.

نتائج البحث:

1- كانت العهدة العمرية تتويجاً لارتباط المسلمين بالقدس وفلسطين، وهو ارتباط روحي عَقَدِي مركزي ينطلق من منطلق إسلامي وإيماني خالص، لما ورد بشأن القدس من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار إسلامية، فهي قبلة المسلمين الأولى وإليها أسري برسول الله - **r** - ومن فوق أرضها عرج به إلى السماء حيث فرضت على المسلمين الصلاة، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام.

2- تنبثق أهميتها من أهمية المدينة المقدسة ومن أهمية من منحها.

3- تعدُّ العهدة العمرية من أعظم الوثائق السياسية التي تمثل أعدل وأوضح وثيقة في التاريخ وأشهرها، فمن خلالها ظهر عدل الإسلام الذي منح العدل والاستقرار والأمن والأمان للمسلمين وغيرهم.

4- أصبحت محل الرعاية والعناية والاهتمام من جانب المسلمين وحكامهم كافة وموضع التنفيذ والتطبيق منهم، ولم يعرف يوماً إساءة تطبيق أي بند من بنودها.

5- ضمنت حرية العقيدة للناس، امتثالاً لأمر الله الذي لا يجيز أن يكره أحد على تغيير دينه ومعتقده. وأثبت المسلمون أنهم أحرص الناس على شعائر الآخرين التعبدية، وقد كفلوا لهم حرية العبادة والوصول إلى أماكنها.

6- ضمنت استمرار منع اليهود من السكن في القدس، لعدم رغبة الناس في مساكنتهم، لما عرف عنهم من طبيعة عنصرية وإفساد في الأرض .

7- استمرار الصراع بين المسلمين والغزاة على تعدد مشاربهم وأطماعهم، وهو صراع عقدي إيماني لا يحول، ما حاول الغزاة السيطرة على القدس.

8- تميزت بالوحدة الموضوعية التي شاعت في ثناياها دون تشعب الموضوعات الأخرى أو تعددها، مما جعلها أكثر قدرة على إبانة المطلوب.

9- أظهرت مقدرة سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الغوية والبلاغية وقدرته على التعبير عما يريد تحقيقه منها، والإحاطة بكل جوانبها.

10- إن اللغة العربية والتقويم الهجري أصبحا نظامين رسميين مطبقين في تعامل المسلمين في العهود الرسمية والتأريخ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردِزبه، صحيح البخاري،دار إحياء التراث العربي/بيروت/لبنان.
2. إبراهيم، محمود، فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة /ط1/ منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1406هـ - 1985م، الكويت.
3. ابن الأثير، الكامل في التاريخ/ م2/500، دار صادر/1979م، بيروت/لبنان.
4. ابن الجوزي، أبي الفرج عبد علي بن محمد، سيرة عمر بن الخطاب، الدار القومية للطباعة والنشر.
5. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار إحياء التراث العربي، ط1/1328هـ / بيروت/ لبنان.
6. ابن حنبل، أحمد، المسند، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/1412هـ-1992م/بيروت/لبنان.
7. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، لسان العرب المحيط، تصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار بيروت، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

8. ابن النحَاس، أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد.تهذيب: د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، 1419هـ/1999م، عمان/الأردن.

9. ارشيدات، شفيق، القضية الفلسطينية والقانون الدولي، مطبعة عبده/1970م.

10. التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، دار العلم، ط2/1965 القاهرة.

11. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، 1986/ بيروت/ لبنان.

12. شراب، محمد محمد حسن، بيت المقدس والمسجد الأقصى، دار القلم/ دمشق/ الدار الشامية/بيروت/لبنان.

13. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعارف/بيروت/لبنان.

14. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي/العصر الإسلامي/ ، ط7/دار المعارف بمصر، 1963، القاهرة.

15. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار القلم، بيروت، لبنان.

16. طوران، مصطفى، أسرار الانقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة، ط3، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1980، بيروت/حلب.

17. العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، ط2، دار المعارف، القاهرة.

18. محمود، جمال الدين أمين، القول المبين في الأشراط الصغرى ليوم الدين،ط1، المكتبة التوفيقية (مكتبة علي)، (مكتبة مكتبتي)، 1997، القاهرة، مصر.

19. مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر.

20. النووي، الإمام محي الدين بن زكريا، يحيى بن شرف، الأذكار النووية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، رئاسة إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، 1971.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2006/4/6.